المبحث الخامس

نجاح مختلف الألوان

obeikandl.com

obeikandl.com

نظرية العادات السبع

نظرية العادات السبع The Seven Habits of highly effective people هي واحدة من النظريات الهامة التي أبدعها الدكتور ستيفن كوفي، والتي اعتبرت بمثابة علم نفس جديد تمرَّد فيها الباحث كوفي على الصورة النمطية للمدرسة النفسية، وأعاد تدوير المعرفة في قضايا الذات الإنسانية بشكل مختلف عما كانت عليه في السابق، حتى خرج بنظرية متكاملة أسهمت في ترشيد العقل الغربي، وفي إعادته إلى ذاته، بعد سنوات طويلة من الهروب عن الذات تحت مطارق الفكر البراجماتي، وسندان الانفلات الأخلاقي، حيث خَفَتَ صوت الضمير وعلا صوت الأنا السفلى إلى حدود لا تحتمل.

قبل أدب النجاح الذي أبدعه كوفي وشركاؤه روجر ميريل وريبيكا ميريل من خلال مؤلَّفهم ذائع الصيت: "العادات السبع للناس الأكثر فعالية"، و ما أنتجتْه كتب أدب النجاح الأخرى، كان السبق للكتب السياسية والاقتصادية التي تراجع عدد قرائها لصالح كتّاب المدرسة الجديدة التي تُعنى بدراسة الشخصية، واكتشاف العوامل المؤثّرة فيها.

انتشرت كتب أدب النجاح في الثمانينات والتسعينات بكثافة، وبلغت أرقام قياسية في حجم مبيعاتها، مؤكدة أن المسار الذي

تسلكه تلك المؤلَّفات مسار حيوي وهام، ويستحق أن تصرف لأجل التعرف عليه الأموال والأوقات.

تزامن مع كتب النجاح إنشاء مراكز تدريب تهدف إلى ذات الغرض، وتُعنى بتنشيط إيقاع الحياة عبر إعادة تأهيل الأفراد للنجاح في أدوارهم المختلفة.

تحسين الإنتاجية الفردية كان أحد أهداف مؤسّسة فرانكلين كوفي العملاقة التي يرأس مجلس إدارتها ستيفن كوفي، ومن زبائن مؤسسته، الحكومات الغربية والبنتاغون و٢٥٠ شركة من أصل أكبر ٥٠٠ شركة في العالم.

يقول كوفي الذي يقدم نفسه على أنه أحد المعنيين بدعم طموحات الفرد في العالم:

"قد تقولون: أنت لا تعرف ما يجري في المجتمع الذي نعيش فيه، وأنا أقول لكم: هل تعرفون مقدار القوة الكامنة بداخل كل منكم؟"[١].

تحرير القوة الكامنة للفرد هو الخيار الوحيد للتصالح مع الحياة بغض النظر عن حجم العقبات والتحديات التي تعترض مسيرة الإنسان، وتجبره على التخلي عن كثير من أحلامه، أو

(١) اتجاهات حديثة في أدب النجاح.

التضحية بها على محك الأحداث، وفي ذروة الانهماك بالحفاظ على المكتسبات البسيطة التي ينالها الفرد العادي.

الميزة الوحيدة للفرد الذي تتكسر عصيُّه سريعاً في معترك الحياة، أنه درّب نفسه بشكل جيد على الهزيمة، وأصبح فارس المتراجعين وزعيم الفاشلين بلا منازع.

والذين يهربون سريعاً من مواجهة الأزمات هم أشخاص رضوا من الغنيمة بالإياب، وتراجعت حجم توقعاتهم تجاه نفوسهم إلى الحدود الدنيا، بما يؤكد مدى حاجتهم الفعلية لمراجعة المعايير التي يَحْتَكِمون إليها في اتخاذ قراراتهم المصيرية، لأنها معايير فضفاضة لم تَقْوَ على حماية أهدافهم، ولم تدعمهم في تطلعاتهم نحو التفوق والنجاح.

وبجانب نظرية العادات السبع وجدت البرمجة العصبية اللغوية، التي تذهب إلى أن الإنسان يستطيع برمجة جهازه العصبي بلغة معينة، ومن خلالها يتم تشكيل رؤية عن العالم الخارجي، وتعدّ اللغة هي وسيلة التواصل بين الإنسان وجهازه العصبي، وممارسة البرمجة اللغوية العصبية هو إيجاد برمجة معيّنة للاستجابة لأوضاع محددة في العالم الخارجي.

وضع علم البرمجة عالم اللغويات (جون غرندر)، وعالم الرياضيات (ريتشارد باندلر) وقد انتشرت تطبيقات ال NLPفي

عديد من المؤسّسات والشركات، حيث يتم ممارسة تقنيات هذا العلم على نطاق واسع.

هذا الحراك المعرفي والتقني الذي يُعنى بالذات الإنسانية، يجب أن لا نقف أمامه مكتوفي الأيدي بل علينا أن نَسبِر غوره، ونتخذ منه مواقفاً تتناسب مع حاجاتنا الأكيدة في توظيف النشاط الفردي بما يخدم أهداف المجتمع وطموحاته

ومن الهام أن نذكر أن العلوم الإنسانية المعاصرة تطالبنا بالتحرك لغربلتها، والاستفادة من أفضل ما بها من خبرات، حتى نأخذ النافع ونلقي بالزَّبَدِ خلف ظهورنا.

هذا هو خيار العقل، أما خيار العاطفة غير المسيّجة بزمام الحكمة فهو أن نتبنى كل شيء دون تمييز أو اختبار!!

عقول المبتكرين

يؤكّد العلم أن الإنسان العادي لا يستخدم كل ما حبَاه الله من مواهب عقلية وبدنية ونفسية، وأن الفارق بين الإنسان العادي وبين النابغة أو العبقري ليس فارقاً في التكوين البدني أو العقلي، ولكنه فارق في استقلال القوى الكامنة فيه.

هذا ما يؤكّده الدكتور "روبرت اينشتين"، أستاذ الدراسات السلوكية بجامعة "كمبردج" الذي يقول: "إن أشخاصاً مثل شكسبير، أديسون و آينشتاين حققوا إنجازاتهم عن طريق تشجيع النبضات الإبداعية التي تطوف بعقولهم، هذه النبضات تطوف بعقول أكثر البشر، ولكن لا أحد يلتفت إليها، والذي يحدث للنابغة أو العبقري أنه يقوم فوراً بتثبيت هذه النبضات الإبداعية التي تأتي في شكل فكرة أو أفكاراً يقوم بتثبيتها في ذهنه، ومناقشتها، أو وضعها على الورق والإفادة منها". إن الفكرة الذكية كالأرنب البرّي تقفز بسرعة وتختفي، والعبقري كمصور بارع يعرف كيف يستخدم آلة تصويره لتثبيت الصورة، ويشبه الصياد البارع الذي يعرف كيف ومتى يصوب بندقيته. إن الأرانب البرّية يراها كل سكان الغابة، ولكن الصياد الماهر هو فقط الذي يستطيع صيدها.

العبقري وحده- بحسب آينشتاين - هو من يتحمس ويمرّن نفسه على اصطياد الأفكار، مثلما يتمرّن الصياد المحترف على

اصطياد الأرنب، أي أنه لا يترك مطلبه للصدفة، ولكن يقوم بنوع من طقوس التفكير الخلّاق مثل الوحدة والاسترخاء، والسفر، وتفريغ الذهن من المشكلات العادية، والأفكار التافهة التي تزحم فكر الشخص العادي.

التفكير الخلاق هو الحدّ الفاصل إذن ما بين العبقرية والركود، هو إكسير عملية الإبداع، ونبضها الذي تستمد منه القدرة على مزاولة نشاطها الذهني، وبقاؤه في حالة من التوهج والفاعلية لكي يقوم بوظائفه كاملة، ويلبّي حاجة صاحبه للإضافة والتجديد في ميادين المعرفة وحقولها الفسيحة.

ومن الواضح أن العباقرة لا يفوِّتون فرصة لمزاولة التفكير الخلّاق إلا واغتنموها، متخذين من أحداث الحياة العادية من حولهم مادة خاماً لتزويدهم بمعارف أولية، تتحول لديهم إلى مادة طيعة يعاد تشكيلها في الدماغ لينتج عنها حلولاً وأفكاراً جديدة تساهم في تجويد الحياة، وتخدم البشرية في أحد مجالاتها الهامة.

ولعل المقاربة التي اعتمد عليها عالم السلوك آينشتاين وهو يصوّر الأفكار كالطرائد البرية يراها جميع سكان الغابة، لكن قلّة فقط هم من يستطيعون صيدها وامتلاكها، تؤكد أن سرّ العبقرية ليس في توفّر قدرات خارقة لا يمتلكها سائر الناس، ولكنها تكمن في نمط التفكير، والجدِّية في الوصول إلى الحقائق، عبر مزاولة طقوس فكرية مكثفة، يكون فيها العقل في حالة تأهُّب دائم

لاقتناص كل فكرة جديدة تطرأ عليه، على نحو لا يسمح بضياع الأفكار البكر، ولا يدع فرصة للشرود والغفلة بأن تأخذ طريقها لذلك العقل اليقظ لكل ما يطرأ عليه من تغيّرات.

يبدو الحزم واضحاً، والجدية في تناول الأمور تغدو سلوكاً اعتيادياً للفرد النابه الذي لم يعد يشغله إلا أن يستثمر إمكاناته الذاتية في الطريق الصحيح.

ويظلُّ التَّوْق لاكتشاف الجديد مسألة منوطة بالعقل المنفتح الذي لا يقف عند حد معين من الإنجاز، ولا يتوقف طموحه عند مرحلة من مراحل النجاح، حيث تتوالى الإنجازات العلمية مؤكِّدة أن مسألة التوقف، ولو للحظة غدت في حكم المستحيل بالنسبة للعلماء والباحثين والمعنيين بتطوير الاكتشافات العلمية.

هذا ما يجسِّده العلماء البريطانيون الذين يعملون حالياً على تطوير صفيحة كومبيوترية تزرع خلف العين، مهمتها تسجيل وحفظ أفكار وأحاسيس الإنسان خلال فترة حياته.

وهو ما ذهب إليه الدكتور كريس ونتر أحد أعضاء فريق "الحياة الاصطناعية" في مؤسسة الاتصالات البريطانية "بريتيش تيليكوم"، الذي رأى أن هذا الإنجاز هو نهاية الموت الدماغي للإنسان، متوقعاً أنه خلال ثلاثة عقود من الآن سيصبح بالإمكان الاحتفاظ بأحداث وأحاسيس وتجارب الإنسان في جهاز صغير، حيث يمكن إطلاق هذه الأحداث والأحاسيس وعرضها على أجهزة الكومبيوتر وشاشات التلفزيون الحديثة.

إضافة إلى ذلك يمكن وصل هذه المعلومات بعمليات دمج خاصة مع جينات الأجيال المقبلة، وبذلك يمكن إعادة صياغة مشاعر وحركات الشخص.

أطلق فريق الدكتور ونتر على هذا الجهاز بـ "لاقط الذاكرة"، وبحسب قائد الفريق العلمي فإنه من الممكن إعطاء المولود الحديث خبرات حياة إنسانية كاملة عن طريق تطعيم الجهاز الكومبيوتري المنزوع من جسد ذلك الإنسان، والمحتوي على كافة المعلومات المتطلبة في الحياة".

لا شكَّ أن معادلة التفوق النوعي يدركها فقط أولئك الذين التزموا النهج العملي، وأيقنوا بأن النجاحات الكبرى هي حصاد العقل النهم، الذي يتطلع دائماً إلى المزيد والجديد في عالم البحث والاكتشاف.

إدارة الجودة الشاملة

في كتاب إدارة الجودة الكلية وإمكانية تطبيقها يعرض مؤلِّف الكتاب عبد الله محمد البطي، لمبادئ "ديمنج" في إدارة الجودة الشاملة، ويفصِّلها في عدة نقاط حيوية، تمثل بجملتها ميثاق الشرف المهني لكل مؤسَّسة تستوعب المعطيات الحضارية وفقاً للقواعد التالية: "تحديد أهداف المنظمة وفلسفتها، مع تطوير غاية مستقرة لتحسين أداء الإنتاج والخدمة، التوقف عن الاعتماد على التفتيش لتحقيق الجودة والاعتماد على عدم التوقف عن استمرارية التحسن، الاستمرارية في تحسين عملية التخطيط والإنتاج والخدمة. تأصيل التدريب في العمل مع الاعتماد على الطرق الحديثة في التدريب. جعل موظفي المنظمة يعملون من خلال فريق واحد، وذلك لتحقيق التحوُّل إلى نظام الجودة"[١].

الملاحظ في هذه المبادئ أن إجراء التحسين على نوعية الخدمة المقدمة يعتبر شريان العملية الإنتاجية برمتها، ولو قطع هذا الشريان أو توقَّف عن الفعل والحركة فإن مشروع التطوير يصبح عرضة للخطر، ويهدد في قعر داره بالتحول إلى مجرد أضغاث أحلام لا يُؤوِّلها الواقع، ويعجز عن تفسيرها.

---

(١) إدارة الجودة الكلية الشاملة، وإمكانية تطبيقها في الميدان التربوي السعودي - ٢٠٠٠ م.

وبمعنى آخر حتى لا تتحول مشاريع التطوير إلى خبر من الأخبار، وتأخذ طريقها إلى زاوية النسيان، يجب الأخذ بعين الاعتبار إلى خصوصية العصر الذي لم يعد يلتفت إلى ما كان بقدر ما يحاسب اللحظة، ويشترط شروطاً قياسية لضمان الإبقاء على مركز المؤسَّسة في الصدارة.

من أخطائنا الشهيرة أننا نسقط هذا البعد من مخططاتنا، وننظر لمشاريع التحسين على أنها أعمال موسمية تفرضها المناسبات والظروف الطارئة، فإذا ما انقضت تلك الأوقات، وأجرينا بعض التعديلات عادت ريمة لعادتها القديمة، وأسررنا لأنفسنا بأنه قد أرضينا ضميرنا المهني، وآن لنا الأوان لنستريح.

نظرة أخرى إلى شروط الجودة الشاملة تقطع الشك باليقين، وتدمغ غير الطموحين بتهمة العيش على ذكريات الماضي، بينما كان الأولى لتحقيق هدف التميّز العناية بالحاضر، وتَمَثُّل شروط الجودة في اللحظة الماثلة التي استجدَّ لها من المطالب ما لم يكن قائماً في المراحل السابقة.

جوائز الإيزو على سبيل المثال تشترط الحركة الدائمة والتوافق المستمر مع مطالب الجودة الشاملة، وفي حال خمول المؤسَّسة التي تنال الجائزة بعد الفوز بها تخرج من حلبة السباق حتى تستعيد عافيتها، وتلتزم بالمبادئ المطلوبة من جديد.

وفي حال التوافق مع الشروط المعتمدة يُجدَّد منح جائزة الإيزو كل ثلاث سنوات، وبعد نيل الجائزة تخضع المؤسَّسة لزيارة دورية من قبل المعهد المانح للجائزة، كل ستة أشهر للتأكد من الالتزام بالمواصفات المطلوبة.

وكلمة إيزو مشتقة من كلمة يونانية تعني التساوي أو التماثل أو التطابق. وقد نالت مواصفات الإيزو منذ صدورها عام ١٩٨٧ اهتماماً بالغاً على المستوى الدولي، لكونها تُعنى بتحديد مواصفات الجودة التي ينبغي اعتمادها في القطاعات الصناعية والخدمية المختلفة

ومهما يكن من أمر هذه الجائزة، وما يشابهها من جوائز تهدف لرفع مستوى الخدمة المقدَّمة للجمهور، فإن الرِّهان على الإرادة الفاعلة يظل سيّد الموقف.

إذ في حين تنتشر عدوى الحماس في بعض قطاعات العمل لاستدراك الزمن واللحاق بمن سبق في المضمار؛ نجد أن هذا السلوك يُفسَّر من قبل محدودي الطموح بأنه ركوب للمركب الصعب وهَوَس بتعذيب الذات وإرهاقها وتكليفها ما لا تطيق.

إن مشكلتنا الحقيقية التي تمنع التطوير النوعي لا تقف عند وجود من يقاومون التغيير ويمتنعون عن التحرك في الاتجاه الصحيح، إنما تكمن في انتشار ثقافة ليس بالإمكان أبدع مما

كان، على نطاق واسع يتجاوز المعبِّرين شفوياً عن حِنقهم على التغيير، إلى الصامتين المتفرّجين الذين لا موقف لهم ولا قرار.

فهؤلاء تسرهم حياتهم كما هي، ويرضون عن الأوضاع كما هي، لذلك فهم لا يتصوّرون مجيء اليوم الذي يطالبون به بنفض الغبار المتراكم في زوايا عقولهم، التي تأذت من الرتابة والسكون.

ربما تكون الطريقة المثلى للتعامل مع مثل هؤلاء الناس أن يحدث التغيير فعلاً، وأن يتصدَّى الراغبون في تجويد أدائهم لإنجاز المهمات المطلوبة منهم، وحينها ستخفُّ حدة المعارضة، وستنتفي الشكوك بإمكانية تحقيق تلك الوثبة في الأداء المؤسسي.

هذا هو السبيل وليس المزيد من محاولات إقناع من اختاروا الحياد و المعارضة.

إن العاجز لا ينتج، ومثله لا يؤمن بالتغيير حتى لو رآه بأم عينه.

جوزيف جوران

أَرْجَعَ جوزيف جوران أحد أكبر مفكري الجودة الشاملة في القرن العشرين سبب تخلف مستوى البضائع الأمريكية عن مستوى الصناعة اليابانية إلى قبول الشركات الأمريكية بالحدود الدنيا من مواصفات الجودة، دون أن تتطلع إلى اعتماد المواصفات العليا ضمن خططها الإنتاجية رغم علمها بأهمية تلك المواصفات، وهي بهذا الاختيار تتشابه مع الشركات الأوربية، التي لا تتجاوز مستويات منتجاتها الحدود الدنيا لمواصفات الجودة، مما نتج عنه سبقٌ مؤكد للبضائع اليابانية المتَّسمة بأعلى المواصفات العالمية.

يكتسب هذا الرأي قيمته من المصدر الذي أدلى به، حيث إن جوزيف جوران يعدُّ الأبرز بين مفكِّري الجودة على مستوى العالم.

وقد بدأ حياته كمهاجر فقير يعمل في " ويسترن إلكتريك"، في بداية العشرينات، وهناك ابتكر أدوات إحصائية لا تزال مستعملة إلى اليوم[١].

---

(١) المختار الإداري، السنة الثانية، العدد السابع عشر - مايو ٢٠٠٣ م.

عمل جوران مع كبار مهندسي الجودة مثل أدوارد ديمنغ ووالتر شيوارت، حتى أصبح استشارياً مستقلاً في قضايا إدارة الجودة.

وفي تحليله الدقيق للأسباب الجوهرية التي تجعل الشركات الأمريكية في حالة مراوحة واستنساخ لتجاربها الصناعية، يؤكِّد المستشار الشهير أن عدم وجود منافسة داخلية تساعد على خلق روح التحدِّي هو العامل الجوهري الذي يقف خلف تراجع مستوى البضائع الغربية أمام الصناعة اليابانية ذات الظروف الخاصة والمناخ الذي أفرز بدوره ثقافة الجودة، وأعلى من شأنها، كقيمة للنجاح وضمان للتقدم والصدارة.

المنافسة إذن هي خط أمان وحافز للتميز، وبدون المنافسة تخبو شعلة الحماس وتنطفئ شرارة الإبداع، وتسود الرتابة والنمطية والقبول بما هو كائن بدلاً من خلق حالة جديدة، وتوفُّر ظروف أفضل ينتعش معها أداء حلقات الجودة، ويرتفع معها سقف الطموح، مما ينعكس على مستوى المنتج.

اللافت في اعتراف جوران أنه ليس الاعتراف الوحيد الذي يأتي من مصدر له حضوره وتحظى آراؤه بالتقدير الشديد.

فسلسلة الاعترافات بجودة المنتجات اليابانية تتوالى بصورة متواترة، مما يقطع الشك باليقين أن اليابانيين أصبحوا مرشحين أكثر من غيرهم للتعلم منهم، واكتشاف الأسرار الكبرى لنجاحهم الصناعي.

من الأسماء التي تؤكد آراء جوران يَبرز اسم الدكتورة جوان ماجريتا، مؤلفة كتاب: "ما هي الإدارة؟كيف تعمل؟ ولماذا عليك إتقانها؟" وقد رأست منصب المحررة المسؤولة عن قسم الإدارة الاستراتيجية بالمجلة الشهيرة (هارفارد بيزنس ريفيو) خلال عقد الثمانينيات من القرن السابق.

كما أنها أحد الشركاء في المؤسَّسة الاستشارية الشهيرة (بين وشركاه)، وهي في كتابها المذكور تؤكد أن ارتفاع مستوى مواصفات المنتجات اليابانية هو حالة عامة تسود قطاع الإنتاج الصناعي، وتكاد لا تستثني أحداً من المعنيين بذلك القطاع.

تستشهد ماجريتا بقطاع صناعة السيارات، كنموذج على الحالة العامة التي تميِّز الصناعة اليابانية، مؤكدة أن وجود فوارق نوعية بين السيارات اليابانية يعد مسألة صعبة.

ريتشارد كوخ وإبان جودن مؤلفا كتاب "الإدارة بدون إدارة" يؤيدان الفكرة ذاتها، ويُرجعان سبب التفوق الياباني إلى عدة عوامل، من أهمها: "الاهتمام بالجودة والقيمة المضافة، التركيز على التكنولوجيا الأساسية، الاهتمام بالتصدير عالمياً، الاهتمام بالثقافة التنظيمية وتطويرها حتى صارت من القوى الأساسية لتحفيز العاملين، وباعثاً لهم على التفوق على المنافسين، قدرة ومهارة اليابانيين على الاستفادة من أقصى طاقات الهيكل التنظيمي، ونقل المعلومات من خلاله بسهولة وكفاءة وفعالية من أسفل إلى أعلى وبالعكس".

الملاحظ على كل هذه الآراء أنها تروِّج لثقافة الجودة الشاملة، وترى فيها الحلَّ السحري لمشاكل المنظمات والشركات.

لكن ما يجب أخذه بعين الاعتبار هو أن آلاف الأوراق المكتوبة التي تمجِّد الجودة وتتغنى بها؛ لن تستطيع التأثير في دورة العمل، ما لم يَتْبع تلك الشروط النظرية خططٌ لتسويق مشاريع الجودة داخل المؤسسات أولاً، عبر سلسلة من الإجراءات الشمولية التي تخاطب كل موظف على أنه أول المعنيين بتطبيق رؤية المؤسسة ورسالتها وخططها وأهدافها كذلك.

مخاطبة كل موظف بغض النظر عن درجته الوظيفية والحيِّز الذي يشغله في العمل على أنه عنصر فعَّال في تحقيق رؤية المؤسسة، بل وإشراكه في صياغتها هو خطُّ الأمان الذي اعتمدته الإدارات اليابانية.

فهل يأتي اليوم الذي نرى فيه مجتمعاتنا العربية تنظر إلى الموظفين بنفس النظرة المتميزة التي تكسر معها الحواجز الوهمية، ويتم من خلالها تلاقح الأفكار، ويتوحَّد الجميع لتحقيق رؤية المؤسسة؟!! سؤال يبحث عن جواب.

جليلة

استطاعت المرأة العربية في الماضي أن ترسم لنفسها صورة ذهنية في عيون أبناء عصرها، والعصور التالية بما يتناسب ونظرتها المتميزة لذاتها، واستشرافها لدورها في الحياة، أماً وأختاً وزوجةً بعين مفتوحة وذهن حاضر وعقل راجح حملها على أن تعبِّر عما تعتقد بصوت مسموع، ولغة نقيِّة لفتت إليها الأنظار، واستحقتْ بها الثناء والتكريم.

وسواء كانت المرأة العربية في الجاهلية أو في الإسلام، فإنها في العصرين لم تخسر جولتها في إثبات ذاتها، ونقل ما يدور في ذهنها من أفكار لأفراد مجتمعها، الذين تجاوبوا مع كل من وجدت في نفسها الجرأة للتعبير عما تعتقد، فأرهفوا حواسهم لما تقول.

قتيلة بنت الحارث، إحدى النساء اللواتي أظهرن قوة خاصة في التعبير عن المشاعر الحزينة في لحظة تدفق شِعْرِي أصغى له الزمن، ورددته الآفاق والأيام، تناغماً مع تلك الخفقة العاطفية التي هزت مشاعرها أسىً ولوعةً على ما آل إليه حال أخيها النضر بن الحارث الذي أمر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بقتله بعد غزوة بدر فأنشدت هذه الأبيات:

يا راكـــبـــاً إن الأثيل مظنّـــة

من صـبح خـامـسـة وأنت مـوفَّقُ

أبلغ به ميتاً بأن تحية
ما أن تزال بها النجائب تخفقُ

مني إليك وعبرة مسفوحة
جادت بدرَّتها وأخرى تخنقُ

إلى أن قالت:

أمحمد ولأنت نسل نجيبة في
قومها والفحل فحل معرقُ

ما كان ضرَّك لو منننتَ وربما
منَّ الفتى وهو المغيظ المحنقُ

أو كنت قابل فدية فليأتينْ
بأعزَّ ما يغْلو لديك وينفقُ

هذه الأبيات التي عكست مدى التوازن النفسي، والقدرة على نظم الشعر وانتقاء الألفاظ التي لا فحش فيها ولا خروج عن حدود الأدب، والتخاطب مع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم رغم فداحة ما بها، وسوء ما ينتظر أخاها، من عاقبة وخيمة؛ رفعت منزلة هذه المرأة وجعلت من نظْمها مثالاً على الانضباط والحزم ورباطة الجأش رغم الأقدار الصعبة، والأحكام القادرة على أن تذهب بعقول أشد الرجال.

وقد استحقت قتيلة بهذه الأبيات أن يقال عنها: (إن شعرها أكرم شعر، موتورة واعفه واكفه حالمة)[١].

ويبدو أن شعور المرأة بالرغبة في قبول التحدي وعدم الانهيار أمام المحن التي يقذف بها الزمن، كانت ثقافة راسخة في عرف المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده.

فهذه الجليلة أخت جساس زوجة كليب، وقفت موقفاً أذهل من حولها، وترك لها صيتاً خلَّده التاريخ في عيون الأدب ودواوين اللغة، وفي كتب السِّيَر والتراجم، حيث فجعت بقتل أخيها لزوجها كليب، وسمعت نساء بني تغلب وهنَّ يقلْن: "هذه ليست ثاكلة وإنما هي شامتة، فإن أخاها هو القاتل"،فكان جوابها:

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا
تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبيّنت الذي
يوجب اللوم فلومي واعذلي

إن أخاً لامرئ ليمتْ
على شَفَقٍ منها عليه فافعلي

(١) إبداع المرأة في عالم الأدب / شراع.

www.alsakher.com

جلَّ عندي فـــعْل جـــسّـــاس

فـوا حسـرتا عم انجلت أو تنجلي

فـعْل جـسّـاس على وجـدي به

قـــاطع ظهـــري ومُـــدْنِ أجلي

إلى أن قالت:

إنـني قـــاتـلـة مـــقـــتـولة

ولـعـل الـلـه أن يـرتـاح لـــي

يقول ابن الأثير (وهذه الأبيات لو نطق بها الفحول المعدودون من الشعراء لاستعظمت، فكيف وهي من امرأة وهي حزينة في شرح تلك الحال المشار إليها؟).

لقد وقف أرباب اللغة مشدوهين أمام ذلك التألق الشعري، في لحظة حزن عاصف يكفي ليذهب بالألباب، ويخرس الأفواه، أو يجعلها تهذي من هول ما ألم بها.

لكن الجليلة فاجأت الجميع، وأعلنت عن حزنها المركَّب، وفجيعتها المضاعفة دون أن تصدر منها كلمة تحطُّ من شأنها، أو تجعلها تميل لطرف دون آخر، فتقدِّم بذلك ما يغري الآخرين بها ويثير شماتتهم.

إن هذه اللياقة النفسية العالية، ورباطة الجأش في التعامل مع الأقدار لم تنتج من فراغ، كما أنها لم تمثِّل حالات استثنائية لتآلف المرأة في مواقف الانكسار، ورباطة جأشها في حالات الألم والشدِّة.

بل هو نتاج تربية إيجابية علمت المرأة على أن تضع نفسها في الموقف الكريم.

وما أحوجنا اليوم ونحن نرى النماذج الكاريكاتورية لبعض الفتيات أن نبث في مناهجنا التعليمية مثل هذه النصوص المتميزة، فيسمو ذوق الفتاة، ويتِّسع أفقها، وتشعر بأنها لو أصغت لصوت الفطرة ونداء الواجب؛ فإنها لن تكون لقمة سائغة للفكر المشوَّش والرأي الهزيل.

عندما يتبلَّد ذهن الشاعر

تروي كتب الأدب أن مرور كثير من الشعراء بلحظة جزر شعري يتوقف معها عطاؤهم الثري لفترة زمنية عابرة، هو شيء طبيعي في حياة الشاعر المتمرِّس، والذي كان بدوره يلجأ إلى وسائل تنشط ذهنه، وتشحذ قريحته، وتصقل موهبته التي زادها تألقاً كثرة نظم الشعر، والتفرغ له أوقاتاً من الليل والنهار، يرفدها في ذلك بديهة حاضرة، وتَمَكُّن من ناصية اللغة بالإضافة إلى السليقة اللغوية التي قلما افتقر إليها شاعر مُجيد.

ومما حَفَظَتْهُ لنا كتب الأدب في هذا الشأن أقوال تواترت على ألسنة الرواة وطلبة العلم، ونسبت لكبار الشعراء على اختلاف أزمنتهم، وتباين ظروفهم الاجتماعية، وأوضاعهم المعيشية.

فقد أُثِر عن "كثيّر عزة" أنه أجاب على رجل قال له: كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر؟ بقوله: "أطوف في الرباع المحيلة، والرياض المعشبة، فيسهل علي أرصنه، ويسرع إلي أحسنه"[١].

وبهذه الإجابة التي تنم عن حرص على تجاوز لحظة سكون شرارة الإبداع، يفتح لنا الشاعر كثيّر النافذة على الطبيعة الغنَّاء

(١) التفكير النقدي عند العرب، عيسى العاكوب، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سوريا، ٢٠٠٢م.

للتجول بين أشجارها الباسقة، ورياضها الوارفة كي يتجدَّد الذهن، وتدب العافية من جديد في أوصال الشاعر، فينقلب ناظماً لأعذب الألحان، ويتحرَّر لزمن يطول في الغالب من أسر اللحظة البغيضة التي يتعطَّل فيها ذهنه عن الإتيان بالجديد، ويُحَال بينه وبين النَّظْم الجيد الذي أَلِفَه من نفسه، واعتاد عليه الناس.

أما جرير الشاعر الذي لا يجارى، فقد كان يحتال لنفسه ويجتهد في الإبقاء على جذوة الشعر متقدة في خاطره، والتي يشعر بها أحيانا وكأنها تَهمُّ بخذلانه، والتخلي عنه لزمن وجيز يراه هو الدهر كله.

من بين ما دونه التاريخ عن حال جرير، واجتهاده للحيلولة دون المرور بلحظة جَزْرٍ شعري يأباه كل الآباء؛ ما ذكره صاحب العمدة عن بعض معاصري الشاعر قولهم: كان جرير إذا أراد أن يؤبِّد قصيدة صنعها ليلاً، يشعل سراجه ويعتزل، وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة".

الفرزدق الشاعر الذي اقترن اسمه بجرير، والذي تركت بصمته الشعرية في كتب الأدب تراثاً استحق البقاء والتداول عبر مسيرة طويلة، حاز خلالها على إعجاب النقَّاد جيلاً إثر جيل، يقول عن نفسه: "أنا اشعر تميم.. وربما أتت علي ساعة ونزع ضرس أسهل عليَّ من قول بيت".

يؤكد هذا المعنى قول آخر أثر عنه: "ربما بكيت من الجزع أن الأشهب كان يهجونا فأريد أن أجيبه فلا يتأتى لي الشعر، ثم فتح الله علي فهجوته فغلبته وسقط بعد ذلك".

من الأقوال السابقة التي أخبرت عن حال بعض شعراء العرب المُجيدين، تتَّضح حقيقة هامة ينبغي الوقوف عليها، وتأمل أبعادها الجمالية والفنية التي نمت عن ذائقة لغوية، وحسٍّ عال بالمسؤولية، تجاه تقديم الأفضل دوناً عن الجيِّد، والأجود دوناً عن الحَسَن في مفاضلة أكدت بما لا يدع مجالاً للشكِّ، أن القوم كانوا من الانسجام مع أنفسهم بحيث إنهم أحجموا عن نَظْم بيت من الشعر، وهم في حالة فتور ذهني، لا يَسْمَحُ لهم بالتحليق بالشعر عالياً حيث اعتادوا على ذلك، وامتهنوه عن دراية وجدراة وتمكُّن.

ولأن التجويد هدف ثابت فلا مكان إذن للمحاولات الشعرية الأضعف، لأنها تستنزف رصيد الشاعر، وتأتي على نجاحاته التي لن يبقيها في مكانها اللائق أبيات قيلت في لحظة امتنعت فيها القريحة عن رَفْد صاحبها بما يريد ويأمل.

بيت شعري أو بيتين يَنْظِمُهُما شاعر محترف في لحظة تراجع القدرة الذاتية يكفي لمحاصرة الشاعر، وربما وصفه بقلة الخبرة من قبل أقطاب النقد وأساطين اللغة، ممن زَخَرَ بهم المحيط الاجتماعي المزدان بصفوة تحرس اللغة، و تنهل من موردها المتجدِّد.

من وراء النقّاد الكبار الذين شكلوا عمقاً ثقافياً أثرى الساحة الأدبية بالكثير من الآراء والتحليلات التي حفظت للغة جمالها، واشتغلت على النص الشعري تحليلاً ونقداً ومقارنة وقياساً على شعر الجاهلية المصنَّف على أنه الأنموذج المجسِّد لجمال اللغة، ورشاقة الكلمة؛ يقف مجتمع يقظ يتحدث اللغة العربية في الحي والبيت والسوق، ليشكل هؤلاء وأولئك حصناً يحمي اللغة من التوقف أو التراجع من جهة، وخطاً رقابياً يطالب بالجودة حتى يتمكن الشاعر من نيل الاستحسان الذي يرفعه فوق الرتب، ويدنيه من مجالس الأمراء وقصور الخلفاء.

استقراء واقع المجتمع الإسلامي في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية يؤكِّد أن مطلب الجودة كان مطلباً مجتمعياً في شتى مجالات الحياة.

بدءاً من السياسة حيث كان الخليفة يحيط نفسه بالمبرِّزين في كل علم وفنٍّ حتى يسترشد برأيهم ويستثمر علمهم في صالح الأمة، ومروراً بالعلماء الذين بلغوا من التمكُّن في مجالات تخصُّصِهم درجاتٍ نراها نحن أبناء اليوم ضرباً من المعجزات، وليس انتهاء بذلك الحرص الأبوي السائد على حماية النشء، وتهيئة البيئة المعرفية التي ترفع درجة الحماس للعلم والمعرفة.

إن مجتمعا ارتقى الذروة ألف عام من السنين، كان يأبى فيه شاعر أن يقول بيتا وهو في حالة فتور ذهني؛ يستحثنا اليوم أن

نعيد قراءته بعناية أكبر، لنتعلم من تلك الأجيال فنَّ صناعة النجاح، واحترام العمل، والحفاظ على الجودة كشعار وجود ليس بعده سوى الاندثار والخمود.

obeikandl.com

لا يصنع النجاحَ فردٌ واحدٌ

لا يصنع النجاح فرد واحد وإن زعم ذلك وادعاه، ولا يبلغ الذروة شخص كائناً من كان، إلا وهناك من ساندَه وأعانه وقدَّم له الدعم والمساندة، هذه قسمة عادلة بل حقيقة ماثلة، ومشهد واقعي يتكرر في كل لحظة من لحظات الوجود، وتستجيب له نواميس الحياة، لأنه بقدر من الله سنة كونية وإن كابر فيها من كابر، وعاندها الضعاف ومحدودو الأفق، الذين يتنكرون للآخرين، وإن كانوا أصحاب أيَادٍ بيضاء وعطاء متَّصل.

لا يصنع النجاح الحقيقي فرد واحد لأن النجاح الكبير يحتاج إلى دعم ومساندة، تختلف صوره ومساحاته وتتباين شخوصه، وتتفاوت درجاته وأوقاته، لكن في النهاية يتشكل شيء جميل اسمه النجاح صنعته باقة رائعة الألوان، زاد من تألقها اختلافها، وأضفى تباين ألوانها ألَقاً وتناسقاً ما كان له أن يحدث بهذه الشاكلة لولا هذا التباين والاختلاف.

ميزة الاختلاف في نوع الخدمة المقدمة للشخص الذي نال بعضاً من نجاح، أنها تحقق مجتمعة دعماً فائقاً للفرد الجاد، والذي لا يكف عن العمل والإنتاج.

وبقدر ما قد تفيد الخدمة التي تبدو كبيرة وملحوظة، بقدر ما قد تتضاعف فائدة الخدمة البسيطة والتي تبدو صغيرة وقليلة الفائدة، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

ففي مجال الأسرة هناك الدورة الكاملة التي تبدأ من رب الأسرة، وتنتهي به لكنها تضم في حركتها الدؤوب مجمل النشاط اليومي للأب أو الأم اللذين عليهما من التَّبعات الشيء الكثير.

ولوهلة قد يبدو للناظر أن الأبوين يعطيان بلا جزاء، ويستهلكان جهدهما في تربية الأبناء ورعاية الأسرة وتحمل مسؤوليات العمل، دون أن يظفرا بمقابل، مما يمهِّد في النهاية ليكون نجاح الأبناء، والتمُّيز في الوظيفة هما مجرَّد نجاح فردي صنعه ذلك الأب العصامي، الذي بلغ من عصاميته أنه لا يطالب أبناءه بشيء، لأنه ما من سبيل للاستجابة لطلبه.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هو: هل يحمل هذا الرأي الصواب المطلق؟ وهل حقاً لا يَدَ للأبناء على الآباء، ولا عطاء لهم من أي نوع كان؟ هل هم حقاً في وضع يتيح لهم أن يستنزفوا جيوب الأبوين وراحتهما وكل ما يملكان دون مقابل؟

في حقيقة الأمر ثمة تفاصيل في العلاقة بين الأبناء والآباء ترد على هذا التفسير، وتنقضه بالكامل.

ومن تلك التفاصيل التي غابت عن السرد ما يقدمه الأبناء من كلمات الشكر والتقدير، وما يُلزمون به أنفسهم من الرِّقة و التهذيب في التعامل مع آبائهم.

فالامتثال والطاعة المبصرة، والمودة والدفء هي هبات حقيقية يجود بها الأبناء على الآباء، حتى تتحقق في النهاية مسألة التواصل والتكامل في العلاقة التي سَمَتْ عن استنزاف الطاقة إلى مستوى من التفاعل والاستجابة مع روعة أداء الأبوين، وعظيم بلائهما، الشيء الذي يجعلنا بصدد واقع أسري جديد، يؤكد أن الآباء يستفيدون حقاً من عطاء الأبناء، وأنهم يستثمرون مشاعرهم بطريقة ذكية ومنتجة.

يضاف إلى تلك الباقة من السلوكيات الراقية ابتسامة رضيع تثلج صدر الأب، وتنسيه همومه، يتبعها بعد برهة من الزمن وقفة أخلاقية صادقة، تصدر من صديق قديم أبى إلا أن يجدد عهد الصداقة والوفاء كلما مرت الأيام وزادت أعباء الحياة.

يُكْمِلُ هذه العطايا التي تُشْعِر الفرد بالرضا، وتنشر في نفسه الدفء والثقة تَعَاوُن زملاء العمل، وانسجامهم وحرصهم على مراعاة المصلحة العامة، واجتهادهم في تقديم الدعم والمساندة لبعضهم البعض دون منٍّ أو انتظار لجزاء.

إلى جانب هذه الحزمة من المبادرات الاجتماعية المتنوعة الأشكال والصور ثمة سيرة ذاتية حافلة بالشخصيات التي أثرت في مسيرة الفرد تأثيراً إيجابياً، كما أثرت حياته بالتجارب الغنية

التي خاضها بصحبة أولئك الأشخاص الذين ظهروا في حياته في فترات زمنية متفاوتة، ووقفوا إلى جانبه حسب الأدوار التي مَثَّلوها في مراحل عمره المختلفة.

فالأب والأم وهما المركز الذي دارت حوله مسارات طفولته وصباه؛ كانوا الضياء الذي أشعل قنديل الهداية في سمائه، وكانوا المنبع الذي وفر وسائل الحماية والرعاية ليجتاز أهم مراحل حياته، وهم إلى جانبه وقوفاً لا يتحوَّلون عن خدمته، ولا يسأمون من دعمه ومساندته.

ومنذ مراحل الطفولة المبكرة وقف معلمون وأساتذة على دروب حياته وممراتها ومنعطفاتها، ولم يبخلوا بعلم أو مشورة، ليكون ذلك الرجل الراشد الذي يَشْرُف به الوطن.

أسماء كثيرة وشخصيات متعددة، وإسهامات حفرت عميقاً في ذاكرته ووجدانه، لا يملك الفرد إزاءها إلا أن يعترف بأنه غراس تلك الأيدي الخيِّرة، ونبتها الذي استفاد فأفاد، وأخذ فأعطى، وتعلَّم صغيراً فلما استدارت عجلة الزمن - وهي لاشك دائرة - بادر بالعطاء، وتَشرَّف بالبذل، ليكمل حلقة جديدة من حلقات التواصل الإنساني الخلاق.

فهل يمكن بعد كل هذا الدعم الرائع أن يدعي شخص كائناً من كان أن النجاح يصنعه فرد واحد؟!!

الأسطورة الصينية

تروي الأسطورة الصينية أن شيخاً أراد أن يعرف الفرق بين السعداء والتعساء، فراح وسأل أحد الحكماء: "هلا أخبرتني ما الفرق بين الجنة والجحيم؟".

فاستجاب له الحكيم وقاده إلى قصر كبير، وما إن دلفا إلى البهو، حتى شاهدا أناساً كثيرين، تمتدُّ أمامهم الموائد عامرة بأطايب الطعام، وكانت أجسامهم نحيلة، وتبدو عليهم أمارات الجوع، رغم أن كل واحد منهم كان يمسك بملعقة ضخمة طولها أربعة أمتار، لكن لا أحد منهم يستطيع الأكل!!

فهتف الشيخ بانفعال: "لقد عرفت هؤلاء..إنهم التعساء!!".

بعد ذلك قاده الحكيم إلى قصر آخر يشبه القصر الأول تماماً، وكانت موائده كذلك عامرة بأطايب الطعام، غير أن الجالسين على تلك الموائد كانوا مبتهجين، تبدو عليهم علامات الصحّة والقوَّة والنشاط، وكان في يد كل منهم ملعقة ضخمة طولها أربعة أمتار كذلك، فما إن رآهم الشيخ حتى صرخ قائلا: "وهؤلاء هم السعداء، ولكنني لم أفهم حتى الآن الفرق بين هؤلاء وأولئك؟" فهمس الحكيم في أذنيه قائلا: "السعداء يستخدمون نفس الملاعق لا ليأكلوا بها، بل ليطعم بعضهم بعضا".

تُجَسِّد هذه الأسطورة التباين الشديد في سلوك الناس تجاه الفوز بمكاسب في رحلتهم الدنيوية.

فقد انقسموا إلى فريقين: أنانيون لا يعرف الإحساس بالشبع طريقاً إليهم، و أشخاص تصالحوا مع ذواتهم وأحبوا الحياة والأحياء، اتسعت قلوبهم للناس، فصفت لهم الحياة وطاب لهم العيش.

في الأسطورة الصينية يعاني الأنانيون من فرط الجوع ومكابدة الحرمان في حين أن موائد الطعام ممدودة بين أيديهم، والسبب يعود لكون الشعور بالشبع أمر لا يتأتى إلا لمن ألفوا العطاء، واعتادوا على المشاركة والتعاون مع سائر الناس.

أما التكالب على حظوظ النفس والاندفاع نحو الجمع والتكديس فلن يعود على الإنسان بشيء، لأنه يفقد بمرور الوقت الشعور بالقناعة أو الاكتفاء بما بين يديه.

الأسطورة الصينية تعبر عن كمية القلق والحزن الذي ينتاب الإنسان الجشع بصورة رمزية، يجسدها الهزال والإرهاق، والشعور بالضعف العام رغم توفر ما يمكن أن يرفع تلك الحالة، ويبدِّلها بالصحة والشعور بالوفرة والجِدة.

لكن أنى للإحساس بالرضا أن يعرف دربه لمن استحوذ عليهم الطمع، وضرب عليهم حصاراً حديدياً لا يملكون معه حيلة أو سبيل؟!!

يقابل الشعور (بالندرة) رغم المال الوفير شعور (بالوفرة)، يتمتع به أعضاء الفريق الثاني الذين عرفوا سرَّ السعادة وامتلكوا مفاتيحها الصحيحة.

أغنياءالنفوس الذين شكلوا عناصر الفريق الثاني أدركوا أنه بمقدار ما يبسط المرء يده للآخرين بمقدار ما يشعر بالامتلاء والبهجة، على النحو الذي أثبتته الأسطورة الصينية، وأكدته صورها الرمزية الغنية بالمعاني الإنسانية العميقة.

الشيء الأكثر تعبيراً في هذه الحكاية الرمزية هو أن الموارد المادية شيء متوفِّر للجميع، حيث الموائد "رمز الوفرة"، متوفرة للبخلاء والأسخياء على حد سواء.

والمغزى المقصود هو أن الندرة التي يعاني منها الناس لا يعود سببها لانعدام الأرزاق، أو لقلتها وإنما تعود أسبابها لاختطاف الإنسان للّقمة من فم أخيه، فلا هو شعر بالشِّبَع، ولا هو التزم باحترام حقوق الآخرين والكفِّ عن الاعتداء عليها.

قانون الغاب إذن هو الذي أفقر شعوب العالم، وترك التصحُّر يجتاح ربوعها الخضراء وواحاتها التي غزاها الجشع فاقتلع أشجارها، وعاث فيها فساداً.

كان العالم مهيئاً -لو تركه الذين اعتدوا على حقوق الناس- ليَكْفُل الرزق لكل حي، لكن لصوص المال لم يعجبهم أن يشاركهم الضعفاء في الملك والكسب، حتى لو كان ملكاً خاصاً يعود للشعوب المسالمة.

الرغبة في الاستقواء على الضعيف جرَّدت الإنسان من خصائصه الكريمة، وحوَّلته إلى فكٍّ مفترس يصطاد فرائسه دون رحمه، ويتحيَّن الفرص لتوجيه ضربة قاضية إلى أعدائه، بغض النظر عن شرعية المعركة، ومبرِّرات الاصطدام.

مفهوم الندرة الذي كرسه الأقوياء في العالم، وثَبَّتوا دعائمه بكل ما أوتوا من قوة هو دليل إفلاس أخلاقي وانحدار في منظومة القيم، على نحو يهدِّد العالم بكارثة مروعة كلما زاد عدد المشاركين في جريمة اختراق مبادئ العدالة والسيادة والأمن القومي.

إذ لم تعد هذه الكلمات لها أي معنى في قاموس الأقوياء الذين سطوا على مقدَّرات الآخرين، ورأوا أن الدنيا لا تتَّسع لسواهم.

فليذهب الفقراء إلى الجحيم، وليسفُّوا التراب، وليقتاتوا على العشب المحترق، أو على نفايات الدول الغنية، حيث لا مكان لهم تحت الشمس إلا حيث يضعهم السادة الكبار، في أضيق عيش وأسوأ حال!!

هذا النَّزق وتلك الرعونة هما الشريعة الجديدة التي أشاعت فوضى عارمة وجرفت معها الأحلام البكر، واغتالت آلاف الفرص للعيش الكريم تحت ظلال العدالة التي أمست كقبض الريح.

خاتمة الكتاب

شـهـد الله مـا انتـقـدتك إلا

طـمـعًـا أن أراك فـوق انتـقـاد

وقد وصلنا بك أخي القارئ إلى نهاية الرحلة فإننا نودُّ أن نذكرك من جديد؛ بأن ما وجدته من نقد في صفحات هذا الكتاب فإنما هَدَفْتُ منه إماطة اللثام عن أوجه الضعف والقصور في كياننا المستهدف، وأمتنا التي يُقصد بها السوء.

لذا أرجو أن يكون صدرك قد اتسع للمشاركة في الهدف الذي قصدته من وراء هذا الكتاب، وسائر كتبي الأخرى، التي تنهج ذات النهج في غالبها، والتي أمنِّي من خلالها النفس في رؤية شركاء يحملون أمانة الكلمة، وينهضون لاستدراك جوانب القصور في المحصِّلة الإجمالية لأداء الأمة.

وإذ أشدِّد على أن التغيير يبدأ من إصلاح الذات الإنسانية أولاً، وتنميتها تنمية شاملة في الجوانب المعرفية والأخلاقية والإيمانية ثانياً، فإني في الوقت ذاته أدرك مدى المعارضة التي يمكن أن يواجهها كل صاحب دعوة تستهدف إيقاظ الضمير وشَحْذِ الهمم للعمل والتغيير.

فكم من أناس سيسخرون ممن يربط ما بين تقصير الأفراد في أدوارهم وبين ما حلَّ بالأمة من ضعف وهوان.

حجة هؤلاء معروفة، فالخلل لن تصلحه إلا الأجهزة السياسية المسؤولة - بظنهم القاصر - عن جميع أدْوَائنا وعللنا!!

وهذا فهم خطير أفرز ضعف الدافعية للعمل، وأبطأ من السير نحو الأمام.

إننا نؤمن بأن المطلوب من كل فرد أن يُصلِح أخطاءه، وأن يبدأ بنفسه وبأهل بيته أولاً وقبل الآخرين.

وما ورد في هذا الكتاب من إشارة صريحة لبعض جوانب القصور في أدوارنا كأفراد منتمين لهذه الأمة؛ يؤكد أن المسؤولية مشتركة والواجب مناط به كل فرد مُنْتَمٍ لهذه الأمة العظيمة.

قبل الختام استحضر هذه الأبيات الرائعة التي وصفت مرحلة المدِّ الحضاري الذي شهد به التاريخ، والأمل يحدونا أن يعود الربيع الصحو يداعب ساحاتنا وبوادينا ينشر اللون الأخضر، ويحيل رماد الأيام إلى نار تنير الدرب للسالكين:

كنا جبالاً فوق الجبال وربما

سرنا على موج البحار بحارا

بمعابد الإفرنج كان إذاننا

قبل الكتائب يفتح الأمصارا

لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها

سجداتنا والأرض تقذف نارا

ومع صوت من الروح الأصيلة نردد:

والمجد لا يُشرى بقول كاذب

إن كنت تبغي المجد يوماً فانْصَبِ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه وسلم.

مريم عبدالله النعيمي

Email:m_alnaymi@maktoob.com

obeikandl.com

مصادر و مراجع من الكتب

- الطالب، هشام، دليل التدريب القيادي (١٤٢٦هـ- ١٩٩٥ م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيردن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثانية.

- كابلان، بيرتون، كيف تسيطر على الآخرين، ٢٠٠١ م، مكتبة جرير، السعودية.

- جروان، فتحي، تعليم التفكير مفاهيم و تطبيقات، ١٩٩٩م، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.

- خليل، عماد الدين، الوحدة و التنوع في تاريخ المسلمين، ٢٠٠٢م، دار الفكر المعاصر،لبنان، دار الفكر، سورية.

- كلينان، برنيس، تنشئة الأطفال على حب القراءة، ١٩٩٧م، مكتبة كنوز المعرفة: جدة، ترجمة: د.سعيد محمد بامشوش.

- ابن كثير، إسماعيل (٢٠٠٤) البداية والنهاية، ج١١حَرْف لتقنية المعلومات، مدينة نصر، القاهرة.

www.al-islam.com

- العيسوي، عبدالرحمن، الطريق إلى النبوغ العلمي، دار الراتب الجامعية: بيروت.

- تنمية الموارد البشرية في اقتصاد مبني على المعرفة، مركز الإمارات للبحوث و الدراسات الاجتماعية، ٢٠٠٤م.

- النابلسي، محمد و عبد القادر، حسين، ٢٠٠٢م، التحليل النفسي ماضيه و مستقبله، دار الفكر المعاصر: بيروت، دار الفكر: دمشق.

- العقَّاد، عباس، هتلر في الميزان، منشورات المكتبة العصرية: بيروت.

- الرفاعي، أنس وسالم، محمد تسريع القراءة وتنمية الاستيعاب، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩م)، دار الفكر، دمشق سوريا.

- بنت الحسين، آمال، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر.

- مرِّنْ عضلات مخك، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م) طارق محمد السويدان، الإبداع الخليجي، الكويت.

- محفوظ، مدحت (١٩٩٨م) حضارة ما بعد الإنسان، دار الكتب المصرية، القاهرة.

- السويدان، طارق، المنظمة المتعلمة، ٢٠٠١ م، ابن حزم: بيروت.

- حسنة، عمر، في النهوض الحضاري بصائر... و بشائر، ١٩٩٦م، المكتب الإسلامي، بيروت

- مورتيمر آدلر وتشارلز فان دورن (١٩٩٥م) "كيف تقرأ كتاباً" ترجمة طلال الحمصي، الدار العربية للعلوم، بيروت.

- عبد الحليم، محيي الدين، إشكاليات العمل الإسلامي بين الثوابت و المعطيات، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر.

- العاكوب، عيسى، التفكير النقدي عند العرب، ٢٠٠٢م، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سورية.

- المختار الإداري، السنة الثانية، العدد السابع عشر - مايو ٢٠٠٣م.

- مصادر و مراجع من الانترنت:-

- الوجه العرضي من العولمة / أبو يعرب المرزوقي.

www.balagh.com

- تربية المرأة من منظور الشيخ محمد الغزالي / د. لطيفة الكندري د. بدر ملك.

www.geocities.com

- الصحف في قبضة المرأة.

http://links.islammemo.cc

- موعد في المهجر.

http://www.aljazeera.net

- الثقافة الغائبة/ رجب سعد السيد.

www.arabworldbooks.com

- النقد الهادف.

www.yahoooh.com

- العوامل النفسية المؤثرة في التعلم.. كيف نتحكم بها؟

www.balagh.com

- عبد الجليل النذير الكاروري: الضغط على الأزرار.

www.alnilin.com

- العرب بين الإرهاب والبحث العلمي/ أ. د. محمد أحمد النابلسي.

http://psychiatre-naboulsi.com

- الشخصية العربية في عالم متغير / أ.د.محمد أحمد النابلسي.

http://psychiatre-naboulsi.com

- قراءة نقدية لتقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢ م/ عوني فرسخ.

http://www.arabnewal.com

- الدافعية للإنجاز وعلاقاتها بتوكيد الذات / د. إبراهيم شوقي عبد الحميد.

www.geocities.com

- توكيد الذات/ د. محمد عبد الله الصغير.

www.nafsany.com

- دورة الحضارة في فكر مالك بن نبي/ د. مصطفى بن حموش.

صحيفة الخليج "غير مذكور تاريخ العدد على الشبكة الالكترونية.

- إعداد الباحث العلمي بين الابتكار و التقليد/ أ. د محمد زكي محمد خضر.

www.al-mushkat.com

- عشر قواعد في التميز الأسري.

http://mawada2..tripod.com

- فيروسات الحياة الزوجية.

http://mawada2..tripod.com

- امتلاك أدوات المعرفة / من كتاب مقومات الوعي و البصيرة.

www.balagh.com

- المشكلات الثقافية فاقمت الفجوة التقنية بين الشمال والجنوب/ حسام شاكر.

www.islamonline.net

- مالك بن نبي وشروط النهضة.

http://akhbar.khayma.com

- أزمة الثقافة العربية/ أحمد منصور.

www.aljazeera.net

- ملاحظات أساسية في تاريخ المجتمع الإسلامي/ بقلم: د. عماد الدين خليل.

www.balagh.com

- مائتا مليار دولار خسائر هجرة العقول العربية.

www.balagh.com

- أمور ضارة بهدف تحقيق الذات وأخرى مفيدة.

www.balagh.com

- برامج العقل العليا/ د. حسن سفنجة.

www.nlp.illafsoft.com

- الثقافة في زمن العولمة/ بقلم: حسن مسكين.

http://membres.lycos.fr/abedjabri/index.html

- إدارة الجودة الكلية الشاملة، وإمكانية تطبيقها في الميدان التربوي السعودي -٢٠٠٠م.

- اتجاهات حديثة في أدب النجاح.

www.alayham.com

- إبداع المرأة في عالم الأدب / شراع.

www.alsakher.com